

التبيان في تفسير القرآن

(527) توبتهم وأولئك هم الضالون) (90) آية بلا خلاف. المعنى: قيل في المعنى بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها - قال ابن عباس هي فرقة ارتدت ثم عزمت على إظهار التوبة على جهة التورية، فاطلع الله عليه نبيه على ذلك بانزال هذه الآية. وقال أبو العالية لم تقبل توبتهم من ذنوب أصابوها مع الإقامة على كفرهم. وقال قتادة: هم اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعبس " ثم ازدادوا كفرا " بمحمد (صلى الله عليه وآله) " فلن تقبل توبتهم " عند حضور موتهم. وقال الحسن: هم اليهود والنصارى كفروا بالنبي (صلى الله عليه وآله) " فلن تقبل توبتهم " التي كانت في حال إيمانهم، فان قيل: لم لم تقبل التوبة من هذه الفرقة؟ قيل: لأنها كفرت بعد إيمانهم ثم ازدادت كفرا إلى انقضاء أجلها، فحصلت على ضلالتها، فلم تقبل منها التوبة الأولى في حال كفرها بعد إيمانها، ولا التوبة الثانية في حال إيجابها. وقيل: إنما لم تقبل توبتهم، لانهم لم يكونوا فيها مخلصين بدلالة قوله: " وأولئك هم الضالون ". وقال الطبري: إنه لا يجوز تأويل من قال لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم. قال: لانه لاخلاف بين الامة أن الكافر إذا أسلم قبل موته بطرفة عين في أن حكمه حكم المسلمين في وجوب الصلاة عليه وموارثته و؟ في مقام المسلمين واجراء جميع أحكام الاسلام عليه، ولو كان إسلامه غير صحيح، لما جاز ذلك، وهذا الذي قاله ليس بصحيح، لانه لا يمتنع أن نتعبد باجراء احكام الاسلام عليه وان كان اسلامه على وجه من الاجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب عليه، كما أننا تعبدنا باجراء أحكام الاسلام على المنافقين وإن كانوا كفارا. وإنما لم يجر قبول التوبة في حال الاجاء إليه، لان فعل الملجأ كفعل المكره في سقوط الحمد والذم. وقد قال الله تعالى: " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن " (1). وقال: _____ " 1 " سورة النساء آية: 17.